ومدارس نصيبين والرها وبيروت في القرن الرابع والخامس ومدرسة جنديسابور في القرن السادس والسابع ثمّ مدارس رومية واسبانية على عهد غريغوريوس الكبير ومدرسة إكس لاشابال في ايام الملك شرلمان ومدارس القسطنطينيّة في القرن التاسع والعاشر وليست التآليف التي ذكرناها سوى اثمار تلك الرياض الفيحاء نضجت رغماً عمّا دهم تلك العصور من آفات الحروب وغزوات البرابرة الذين هجموا على العالم الروماني من كلّ صوب.

وقد اقتصرنا في هذه المقالة على العلوم الطبيعيّة والفلكيّة ولو حاولنا البحث عن علوم أُخرى وفنون تلحق بها كعلم البناء مثلاً وعلم الجغرافية والرّحل وعلم الحيوان والمعادن والحجارة الكريمة والنبات والعلوم الطبيّة والموسيقى لاتّسع بنا المجال وتحقّق القارئ بان النصرانيّة لم تدع صنفاً من المعارف البشريّة دون ان تخوض في عبابه حتى في الاجيال التي يدعوها البعض اوان الجهل وقرون الظلمة. لكنّنا نضبط الآن عند هذا الحدّ عنان القلم مؤمّلين بان اصحاب النقد المنصفين لا يعودون يقرّفون الكنيسة بما هي براءٌ منهُ ويستندون الى أقوال ذوي الغايات كسيديليو (Sédillot) ولوبون (Lebon) وغيرهما ممّن لا يعدُّهم العلماء في جملة الأثبات الثقات هدانا الله واياهم الى سواء السبيل

ترجمة السيد المفضال

دير ارسين ايدنيا

بقلم حضرة الاب الفاضل دبر نرسيس صائغيان

في ٢١ تموز من العام المنصرم فقدت الملّة الارمنيّة احد فطاحل علمائها وفحول ادبائها بل اكبرهم واسماهم وزعيمهم ونبراسهم ألا وهو السيد الجليل والحبر النبيل دير أرسين ايدنيان رئيس العام للرهبان المخيتاريين المقيمين في ڤينّة ولهُ من العمر ٧٧ سنة فتكت بهِ يد المنيّة وسحبت على القلوب غيوم الاحزان والحقّ يقال ان الرزيّة عظيمة والخسارة كبيرة بوفاة هذا العلاّمة الجليل الذي خدم آداب احدى الطوائف الشرقيّة

خدمةً تُذكر فمن الواجب علينا اذًا ان نورد لمحة من اعمالهِ المبرورة رغبــةً في تخليد ذكرهِ وافادة الجمهور الشرقيين

وُلد الفقيد في الاستانة العلية من ابوين فاضلين في ٧ تشرين الثاني سنة ١٨٢٥. ومنذ نعومة اظفاره انكبَّ على الدروس الاوليَّة بكل نشاط وجهد وكان الولد ذا فهم متوقد وذكاء غريزيّ تلوح على جبهته الغرَّاء ملامح النجابة وامائر النباهة. فلمَّا بلغ العاشرة من عمره طلب ان يترهَّب ولذلك أُرسل الى فينَّة عند الرهبــان الخيتاريين فهناك اقبل على درس العلوم والفنون المتنوعة واللغات المختلفــة فنجح نجاحًا لا مزيد عليهِ ونبغ في جميع اصناف المعارف مع ما كان يزيّن بهِ نفسهُ من الفضائل الرهبانيَّة حتى رقي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٤٥ وسمّي ارسين

وما لبث بعد ذاك العهد بقليل حتى صار الاب ارسين كسراج موضوع فوق منارة العلوم والآداب الارمنيَّة لم يزل نوره الضئيــل في بادئ ذي بدء يزهو ويشعّ حتى اضحى ضوءًا ساطعًا لامعًا لا يخفى بهــاؤهُ على كل ذي بصر لانهُ ما كادت تمضي على سيامتهِ بضعة اسابيع الَّا وشرع يترجم الى الارمنيَّة احدى خطب كيكيرون البليغ المصقع بقلم عسجدي ولسان ذهبي. وبعد هذا اخذ يقابل جميع المخطوطات او نسخ الكتاب المقدس الارمنية مع بعضها ويدوّن ما يوجد بينها من الروايات والاقوال المختلفة بكدّ وجدّ لا يعرفان مللًا حتى انجز هذا العمل الخطير. وفي سنة ١٨٤٧ صنع كرة ارضيَّة كبيرة الدائرة باحرف ارمنيَّة قضت العجب من رئيس الجمعية الجغرافية في ڤينَّة. ثم باشر سنة ١٨٥١ بعمل كرة أُخرى باحرف عربية لم تزل بلا طبع

وفي السنة المذكورة أُرسل الاب أرسين الى ازمير بصفة معلّم فقام بهذه المهنــة الشاقَّة قيامًا نعمًا ابدى في اثنائها عن كلّ جدارة وغيرة حتى السنة ١٨٥٦ وفي هذه المدّة اتقن فن التصوير اليدوي بمجرد جهده اتقانًا كاملًا ولهُ عدَّة تصاوير دينية جميلة للغاية نخص منها بالذكر صورة الثالوث الاقدس التي تخلب ألباب الناظرين اليها

وفي سنة خروجه من وظيفة التعليم سافر الى اوربَّة فجــال في بعض بلاد فرنسة وايطالية ثم عاد الى ڤينة وهناك شرع بعمل خطير وتأليف اثير لم نجد لهُ في الارمنيَّة نظيرًا وهو كتاب عبارة عن ٥٠٠ صفحة يُقسم الى ثلاثة اقسام عنوانه الصرف البحثي للارمنية الحديثة او العامية خرج الى حيز الوجود سنة ١٨٦٦ فادهش كل من تصفَّحهُ وتوغَّل

في فحصه . ففي القسم الاوّل وهو الاكبر شأناً يبحث المؤلف البارع عن اصل الارمنية العامة وجوهرها واقسامها او شُعَبها فتراه يخوض ويغوص ويتعمق في هذه المواضيع العويصة والأبحاث الغامضة ولم يخرج من غمارها واعماقها حتى يأتي بفوائد فرائد وعجائب غرائب تحيّر العقول وتجلب العجب حتى لا يتماسك اللسان عن الهتاف: لله درها قريحةً متوقّدة ويا لهُ من علمٍ واسع وعقل ثاقب بل ثابغة فهّامة لا يجاريه نظير

والقسم الثاني يتضمن قواعد صرفية للغة الحديثة اودعها صاحب الكتاب ابحاثاً جليلة مدهشة للغة القديمة واماً القسم الثالث فيحتوي على نظر لهُ في صرف اللغة القديمة مع فوائد جمّة فهذا الكتاب احدى آيات العقل البشري اضحى اليوم في الطائفة الارمنية كدستور يُرجع اليهِ ومورد يستقي منهُ جميع الصرفيين والمحررين باللغة الحديثة التي جعلها المؤلف الجليل على اساس ثابت واركان وطيدة تضمن لها دوام حياتها النافعة

وللفقيد غير هذا صرف مطوّل للغة القديمة فاق جميع سوابقهِ وهو تحفة في بابهِ ولهُ ايضاً عدّة تآليف نفيسة ومقالات عديدة نصفح عن ذكرها لنتبعهُ الى الاستانة حيث عُين سنة ١٨٦٧ مديراً للمدرسة المختصة بجمعيّتهِ ومثقّفاً لاولاد طائفتهِ فاقام بوظيفتهِ هذه احسن قيام ونبغ في ايّام ادارتهِ رجال اجلاء اشتهر منهم كثيرون بعدئذٍ في المناصب الرفيعة والمراتب السياسية وبرع غيرهم بالكتابة

لكن سنة ١٨٧٦ انسحب عن وظيفتهِ هذه مستعفياً واخذ يبحث عن الموسيقى الارمنية الكنسية بعناء مفرط وبحث دقيق لانهُ كان متضلعاً في هذا الفن ايضاً وهو اول من رتب الموسيقى الطقسية وضبط الالحان القداس الالهي بعلامات اوربيّة وعلقها حسب مطالب الفن الحديث لكن مع محافظة كلية على روح واصول الموسيقى الارمنية المهيبة . فنجح في مشروعه هذا نجاحاً كاملاً والدليل على ذلك انهُ لما قُدّمت الذبيحة الالهية في ڤينة سنة ١٨٨٤ على هذا النسق الجديد وبرافقة آلات الموسيقى هاجت نفوس الحاضرين وخاصّةً من الاكليروس اللاتيني وكان التأثير على قلوبهم عظيماً حتى كادت تسيل العبرات من المدامع وردّدوا عبارات الشكر بقولهم: هكذا كان يتصوّر القديس يوحنّا فم الذهب وامثاله هكذا كان يشعر القديس امبروسيوس ونظراؤهُ وبلا ريب هكذا كانت ترتّل آباء الكنيسة الارمنية القديسون . هذا التأثير بذاتهِ شاهدتهُ كنيسة المخيتاريين مرة أُخرى سنة ١٨٨٧ يوم سيامة الفقيد مطراناً لانهُ بعد

ان تقلّب في مناصب عديدة أُنتخب رئيساً عاماً لرهبانيته تقريباً بصوت واحد سنة ١٨٨٦ ثمَّ سُقِف في العام التالي حسب العادة المألوفة فجُعل رئيس اساقفة على سلامينة (قبرس) شرفاً بيد المثلث الرحمة السيد اسطفان عازريان وكانت الحفلة شائقة جدًّا

والحق يقال ان المنتخب حقَّق آمال المُنتَخبين واتى باعمال مبرورة وخدم مشكورة فنمت الجمعيَّة وازهرت في أيَّام رئاسته وكسبت برونق لا سابق لهُ وبهاء عظيم فباهتمامه نشئت مجلَّة علمية تاريخية وادبية تصدر مرَّة في الشهر طارت شهرتهـا في الغرب والشرق

وهو الذي وسَّع نطاق موادّ الدروس وادخل المطبعـة الكبرى في طور جديد فصارت كاملة الاهبة تامَّة الادوات لا ينقصها شيء من الاكتشافات الحديثة واخترع ايضاً حروفاً جديدة ونقوشاً بديعة وزخارف جميـلة تزيّن اليوم جيود الكتب والمجلاَّت الارمنية وليس في هذا من العجب لان الفقيد كان ذا فكر واسع لهُ المامٌ تقريباً في كل علم وفنّ كما كان متضلعاً في لغات عديدة كاليونانية القديمة والحديثة واللاتينية والايطالية والفرنسية والانكليزيَّة والالمانية والسنسكريتية والسريانية والعبرانية والفارسية والتركية والعربية التي يتكلم عن احوالها في بعض حواشي الصرف البحثي (الذي وصفناهُ آنفاً) يصفها كاحد ابناء العرب وكان اذا افاض في موضوعٍ ما تكلَّم باسهاب ودقَّة كليَّة ومجمل القول كان دائرة معارف حيَّة صارت اليوم الى كان

ولكن رغماً عن سعة علمه هذا ومعارفه كان الفقيد متواضعاً وديعاً لين العريكة ذا رقَّة وشهامة متزيناً بمزايا وفضائل شتَّى داومهـا حتى ساعة موته الذى فاجأهُ بعد منتصف الليل في مصيف جمعيَّته بضيعة ماوير وصـار لهُ مأتم حافل كما يليق برجل عالم عامل. وكان مكرَّماً محبوباً من دولتنا العلية ادامها الله ومن الدولة النمساويَّة والكرسي الرسولي وتشرَّف بالوسام المجيدي من الطبقة الثالثـة والصليب الكبير وعدَّة القاب شرفيـة مختصة بالبلاط الواتيكاني ولا حاجة للقول انهُ كان ملفاناً في اللاهوت ايضاً

فعلى نابغة كهذا نبكي اليوم بعيون مدرارة وتبكي معنا الآداب الارمنية لانهـا فقدت حبيبها ومعززها ولكن ما العمل انّا لله وانّا اليهِ راجعون ولنا تعزيةٌ بتركته العلمية وتلامذتهِ الذين خلَّفهم لنا كآباء افاضل وعلماء فطاحل نخصّ منهم بالذكر الاب هاكوب

داشيان الذي طار صيتهُ في كل اوربَّة وكما يبان سوف يفوق رئيسه ومعلمه الغائب بردَّ الله مثواه بوابل رضوانه واسكنهُ فسيح جنانهِ آمين *

ديوان المتلمّس

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

لاحق بسابق (راجع المشرق ٥ : ١٠٥٧)

١ اوّل قصيدةٍ نقلها الرواة عن المتلمس وبها يُفتتَح ديوانهُ في نسخهِ الثلاث التي وصفناها هي ميميَّتهُ الشهيرة انشدها لمَّا بلغهُ قول الحارث بن التوأم والحارث بن جلدة امام عمرو بن هند في نسبهِ انهُ مشكوك فيهِ (راجع المشرق ٥ : ١٠٥٩). وهذه الابيات كلها منتخبة جيّدة. قال ابو عبيدة (في الاغاني ٢١ : ٢٠٩): ولم اسمع لاحدٍ بمثل هذه الابيات حكمةً وامثالًا من اوّلها الى آخرها (من الطويل)

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكَرَّمَا

(الروايات) : في نسخة لندن (ل) : تُعَيِّرني . . . ولَنْ تَرَى . وفي الاغاني (٢١ : ٢٠٩) : تَعَيَّرَني امّي . . ولن ترى . فتكون « تعيَّرهُ » كقولك تنقَّصَهُ . ولم نجد لهذا الوزن ذكرًا في كتب اللغة . وفي حواشي النسخ الثلاث وفي لسان العرب رواية أُخرى حسنة للشطر الاوّل : تكرَّمْ لتعادَ الجميل فلن ترى . (الغريب) قال في نسخة (ل) : يُعيّرني امّي اي بأُمّي فحذف الباء . قال ابن قتيبة في ادب الكاتب (ص ٤٤٧ من طبعة ليدن) : وتقول : عيَّرْتَني كذا ولا يقال عيَّرْتَني بكذا . قال النابغة (يذكر هربهُ من المنذر) :

وعيَّرَتْني بنو ذبيان رهبَتَهُ وهل عليَّ بان اخشاكَ من عارِ

وفي المصباح للفيُّومي : عيَّرهُ كذا وبكذا . والافصح ان يُعدَّى الفعل بنفسهِ . (المعنى) قد قبَّح عليَّ رجال ونسبوا الى أُمّي العار ولو كانوا احرارًا لما فعلوا لانَّ الكريم الحرّ يأتي بفعال الكرام

وَمَنْ كَانَ ذَا عِرْضٍ كَرِيمٍ فَلَمْ يَصُنْ لَهُ حَسَبًا كَانَ اللَّئِيمَ الْمُذَمَّمَا

(الروايات) روى كثيرون : ولم يَصُن . وفي نسخة (ل) : كان اللئيم المُزَمَّما . قال هبة

* اخذت هذه التفاصيل من اوثق المصادر واصدقها فضلًا عمَّا عرفته بنفسي